تدين بنجاحها له ؟ ولماذا ينصرف عنه الناس ومكانته عندهم فى سميم قلوبهم ؟ لأنه أبلى فأحسن البلاء ، وصبر فاجتنى من الصبر الظفر ، وسهر فلم يشك يوماً من السهر ؟ ... لقد كان الناس يدعونه فى تلك الأيام بقولهم : « أبونا إبراهام » وكانوا يخاطبونه فيقولون : يا أبانا ماذا ترى فى كيت وكيت ، وما كان أحلى هذا اللقب يضاف إلى ألقابه ...

ألا إن الناس ليحرصون على « أبيهم » لا تدور أعينهم إلى غيره ولا تتسع قلوبهم لسواه ؛ فها هى ذى العرائض بترشيحه تترى على الحزب من أنحاء البلاد ومن ميادين القتال فى كثرة عظيمة تليق بجلال قدره وخطورة شأنه وجليل ما قدمت يداه...

وندع الآن ذلك لنعود إلى الحرب وشؤونها ؛ وأول ما نذكره أن الرئيس قد اتفق مع المجلس التشريعى على إسناد القيادة العليا للجيوش جميعاً إلى القائد جرانت.. ثم كتب إلى جرانت يدعوه إلى إلى العاصمة فحضر إليها ، وذهب إلى البيت الأبيض فلقى الرئيس وسمع منه عبارات الاطراء والثناء ثم تلقى منه نبأ تعيينه فى منصبه الخطير .

ولقد تزاحم الناس وتدافعوا بالمناكب حول البيت الأبيض وفى قاعاته ليروا هذا القائد الذى تعلق عليه بعد زعيمهم الآمال... ولقد علق جرانت على هذا اللقاء العظيم بقوله « هذه معركة أشد حراً مما شهدت فى الميادين من المعارك .. »

وبعد أن درس القائد خططه المقبلة مع الزعيم ورجاله ، استأذن فى الرحيل فطلب إليه الرئيس أن يبقى قليلا ليحضر وليمة أعدتها زوجه تكريما للقائد ولم يكن يعلم بها من قبل ليدعوه إليها فاعتذر شاكراً من عدم قبوله بقوله « حسبى ما لاقيته من تلك المظاهر أيها الزعيم ... » وفرح الزعيم أن يسمع ذلك من القائد وهل يهدم الرجال إلا الغرور وحب المظاهر الفارغة ؟

ورحل جرانت إلى الميدان وقد زوده الرئيس بقوله « أنت رجل همة وعزيمة ، وأنا لا أريد وقد سرنى ذلك أن أضع فى طريقك ما عساه أن يعوقك ، وإذا كان فى طاقتى أى شئ يمكنى أن أمدك به فدعنى أعرف ذلك ... والآن سر فى عون الله على رأس جيش باسل وفى سبيل قضية عادلة »

« البقية فى العدد القادم »

الخفيف

فى الأدب العراقى

ديوان الشبيبى العتيد

للاستاذ الحومانى

فى الكرادة من ضواحى بغداد وعلى شاطئ دجلة بيت متواضع يسكنه الشاعر العراقى الكبير الشيخ (محمد رضا الشبيبى) وزير معارف العراق

هو فى منتهى دور الكهولة ويوشك أن ينهد إلى الخمسين ، يعمل عقله فيما يجيب أو يتنزع ، تتخال جمله فى القول فترات ثم على ذلك ، وزين كل الرزانة وهو يحدث ، ويميل فى شعره إلى الاصلاح الأخلاق فى المجتمع . لا يحب أن يجامل ولا أن يظهر أمام زائره بمظهر العز المكسوب ، يزيد التألم خده وما أحدق بعينيه — وهو يتكلم — تجمداً يبدو لك من ورائه ومن خلال ابتساماته الضئيلة سر عميق فى نفسه يبعثه البؤس والشقاء مما يكابد فى قومه . وإذا لم يرقه حديث جلسائه ولم يستطع مغادرة المجلس تشاغل بمطالعة الصحف ، وقد يشيح بوجهه وهو يتكلم كأنما قد ذكر أمراً قد أنسيه ، ثم يمعن فى التشاغل عنك حتى إذا لفته إليك أدب المجالسة عاد مقبلا عليك تقرأ فى وجهه الاعتذار لك . لا يستقر به المجلس أكثر من بضع دقائق ، وإذا لفته الزهر المحدق بالمجلس رأيته على ما فيه من رزانة يستخفه النظر فيهيم فى الروض مع نسيم دجلة البليل

•••

الروح الشاعرة إما أن يربيها الألم فينشأ صاحبها متشائماً قليل الحظ من متع الحياة، فلا تراه فى شعره غير شاك أو متألم؛ وإما أن تربيها اللذة فينشأ صاحبها متفائلا لا يعرف وجهاً للألم فى الحياة

وقد تربى الروح الأولى فى النفس نقمة على المجتمع واستعداداً للانتقام منه ، كما قد تربى الروح الثانية فى نفس الشاعر النكتة فى الأدب والاستسلام للشهوات

وقد يتعزى الشاعر المتألم بملهى أو مقهى كما قد يثوب أخوه الغاوى ويرعوى عن غيه فيلهمان معاً جمال الشعر النفسى فى معرض الآلام ، على أن الأول أكثر تألماً لما يستقبل ، والثانى أمضى ألماً على ما خلف

يعجبني من النوع الأول شعر العلامة الشبيبي يقول :

هي الرسائل والأشعار والخطب ... همٌّ عليَّ ثقيل هذه الكتب
إحدى العجائب عداً أن يثقفنا ... قوم ثقافتهم في أرضنا عجب
من معدن الشر ماسنوا وما شرعوا ... ومن معانيه ما خطوا وما كتبوا

في كلماته هذه صورة بالغة في الألم النفسي . وأمض ما يؤلم الشاعر الحر أن يرى الحق مهجوراً والباطل يعمل به ، وآلم لديه من ذلك أن يرى ذا الباطل يتولى الحكم في الناس على أنه محق ثم يعاقب المحق على أنه مبطل

يرى الشاعر الحر كل ذلك ثم يرى بعده أن المجمع راض عن هذه الحكومة ، أو يتجرعها على مضض وهو يستطيع أن يلفظها، فلا يلبث شاعر الانسانية أن يقذف بركانه حجراً تفيض به نفسه شعراً

شر العصور وفي العصور تفاوتٌ ... عصر به تتقـــدم الأوغاد
أنظر إلى الاعجاز كيف تصدرت ... وعمائم السادات كيف تُساد

ثم هو يقول وقد غادر وطنه العراق إلى دمشق فحن إلى الكرخ أحد أحياء بغداد :

ببغداد أشتاق الشآم وها أنا ... إلى الكرخ من بغداد جم التشوق
هما وطن فرد وقد فرقوهما ... رمى الله بالتشتيت شمل المفرق

ويقول في التمدن الغربي مشيراً إلى الغرب :

يعيش سعيد مفرد بين معشر ... شقي وحيٌّ واحد بين أموات
وكم جسد فوق الأخاديد شاخص ... إلى جثة تحت الأخامص ملقاة
وما الزمن الماضي بأعظم محنة ... من الحاضر الموصول بالزمن الآتي
يظنون هذا العصر عصر هداية ... وأجدر أن ندعوه عصر ضلالات
فان خرافات مضت قد تبدلت ... حقائق إلا أنها كالخرافات

تلك هي نفثات شاعر المجتمع ينظر إلى أمة بعين ملؤها الحنان وقد ضغطها ظلم القوى فأهابت بشاعرها وهو مغلول اليد فأطلق فكره من عقال الوهم والخيال ، ثم أجالها فيما يفض الظلم ويتمشى معه إلى إصلاح شعبه . ألم تره وقد لاح له بارق أمل يتلمس في أمته روح النهضة من ورائه ، يثير الهمم ويشحذ العزائم حيث يقول :

فقد الصبر فهبت فزعاً ... وأبى السيف لها أن تضرعا
أمة خرساء كم واش وشى ... بنواديها وكم ساع سعى
أرمت ألا يراها حملا ... غاصب صال عليها سبعا

إلى أن قال :

صلة الشرق بالماضي ارجعي ... لا تعودي سنداً منقطعا
جددي عهد علي غزياً ... وأعيدي مالكا والنخعا

ربما وقفت من الشاعر على بيت واحد علمت أنه شاعر ، فلا أريد أن أشير لك إلى هذه القطع وما فيها من روح فياضة بالألم المض مما يسمع ويرى ، ولا أن أقول لك إن الروح الفياضة بالحزن أدق شعوراً بالحياة من الروح الفياضة بالسرور، وقد عرضت لاثبات ذلك مراراً مرت بك . اجل، ولا أريد أن أرجع بك في إثبات الشاعرية لهذا المصلح العراقي الكبير ، إلى ما في هذه الأبيات من حزن وقفت بالشعور الحي أن يتجاوزها إلى ما تسمع كثيراً وتقرأ كثيراً من شعرائنا الخلع في عصر النهضة .

وإنما أريد أن تعود معي إلى تصفح هذه القطع مرة ثانية لأسألك عما تشعر وأنت تقرأ عجز المطلع الأول : همٌّ عليَّ ثقيل هذه الكتب . وعما يخلقه في نفسك حنينه وهو في الشام إلى الكرخ من بغداد ؟ ثم إلى ماذا يصل بك عبث الخيال وما يأتيه من فن ؟

قد يحسب العقل الواهم أن الشاعر قلما يعمل الخيال فيما تثور معه العاطفة من شعر ، وكثيراً ما يقولون : إذا ثارت العاطفة كان الشعر ، غالباً ، خلواً من الابداع في الفن

أما إن عنوا بذلك خلوه من الفن اللفظي فأنا معهم ، لأن توجيه الفكر إلى صناعة اللفظ يحول دون فيضان الروح بما تتأثر به من مشهد يثير فيها عاطفة ما ، وإذا تأثرت الروح فليس للعاطفة أن تمهل الفكر في إعمال الخيال ، ضرورة أن الابداع فعل، وثورة النفس انفعال يجيش بركانه في الصدر فيقذف حممه

وأما أن يريدوا خلوه من الابداع في الفن من حيث تناوله اللفظ والمعنى معاً أو المعنى فقط فلا أراني على وفاق تام معهم لما سمعت من قوله «شر العصور الخ» إلى ماجاء في القطعتين الأخيرتين فقد يبرمن لك عن اجتماع الخيال مع العاطفة فيخرج الشعر خالد الفن بين خيال يبدع وعاطفة تثور

هذه كلمة نسوقها تمهيدا لهذا الشعر الخالد من الشعر العبقري قبل أن يخرج ولما يزل تحت الطابع؛ وسوف نعززها بكلمات بعد خروجه تكشف عن كثير من أسرار هذا الشاعر العبقري

الحجر في عالم الفن

الرمانى
نزيل بغداد